مَجلّةُ تَسنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

رأيُّ المستشرقينَ في النحو العربيِّ مَا قبلِ سيبويه

د. زهرة علاوي حمود الناجي [1]
[1] الجامعة التقنية الوسطى - الكلية التقنية الادارية
zahraalwy@mut.edu.iq

الملخص. يسعى هذا البحث إلى توضيح أصالة النحو العربي وإبراز الجذور الحقيقية لنشأته، في مواجهة الآراء التي طرحها بعض المستشرقين ممن حاولوا التشكيك في استقلال هذا العلم. فقد اعتمدت تلك الطروحات على فرضيات تربط النحو العربي بمؤثرات أجنبية، ولا سيما اليونانية، مستندة إلى روايات غير دقيقة أو إلى تفسيرات بعيدة عن السياق التاريخي والثقافي للعرب. كما يناقش البحث ما نُسِبَ إلى نشأة النحو من حكايات وأساطير أدّت إلى إرباك الصورة الحقيقية لتطور هذا العلم، فاختلطت الروايات العلمية بالمرويات المتخيلة التي من شأنها أن تُضعف فهم الباحثين لطبيعة الجهود الأولى التي أسهمت في وضع القواعد النحوية. وعن طريق تحليل الروايات الموثوقة والنظر في المراحل الأولى لتدوين النحو، يبيّن البحث أن التكوين المبكر لهذا العلم قام على جهود عربية خالصة، وأن ما ذهب إليه بعض المستشرقين من حديث عن تأثيرات خارجية لا يستند إلى أدلة معتبرة، بل يقوم غالباً على مقارنات شكلية لا تنهض حجة علمية. وبذلك يؤكد البحث أنّ النحو العربي علم أصيل في منطلقاته ومساره التاريخي، وأن ما نسب إليه من تأثيرات أجنبية إنما هو مبالغة في التأويل لا تقوم على أسس علمية صلبة.

الكلمات المفتاحية: المستشرقون، التأثر، اصالة النحو ، الدواعي، الاتهامات

Abstract. This research seeks to clarify the authenticity of Arabic grammar and highlight the true roots of its emergence, in the face of the opinions put forward by some orientalists who tried to question the independence of this science. These proposals relied on hypotheses linking Arabic grammar to foreign influences, especially Greek, based on inaccurate accounts or interpretations far removed from the historical and cultural context of the Arabs. The research also discusses the stories and legends attributed to the

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

origin of grammar, which led to confusion about the true picture of the development of this science. Scientific accounts became mixed with imagined narratives, which weakens researchers' understanding of the nature of the early efforts that contributed to establishing grammatical rules By analyzing reliable accounts and examining the early stages of codifying Arabic grammar, this research demonstrates that the early formation of this science was based on purely Arab efforts. The claims made by some Orientalists regarding external influences are not supported by credible evidence, but rather rely on superficial comparisons that lack scholarly credibility. Thus, the research affirms that Arabic grammar is an authentic science in its origins and historical trajectory, and that the attribution of foreign influences to it is merely an exaggeration of interpretation, lacking a solid scientific basis.

Keywords: Orientalists, influence, originality of grammar, Reasons,

accusations

المقدمــة

تدرّجت نشأة النحو العربي عبر مسار طويل، سعى فيه العلماء الأوائل إلى حفظ لسان العرب لصيانة العربية والمحافظة على نقائها، بعد أن أدركوا حاجة الأمة إلى تقعيد اللغة وحمايتها من مظاهر اللحن التي أخذت بالظهور مع اتساع رقعة الدولة واختلاط العرب بغيرهم. واعتمد هؤلاء العلماء منهجاً يقوم على جمع الشواهد من القبائل العربية المتفق على فصاحتها، وانتقاء النصوص التي تعكس الفصاحة الأصيلة، ثم بناء القواعد وفق ضوابط اتُّفق عليها في بيئات العلم البصرية والكوفيّة وغيرها. ويكشف هذا الجهد عن مستوى رفيع من الدقة والصرامة العلمية التي اتسم بها عمل النحاة الأوائل. وإذا تم تتبع التاريخ العلمي للنحو العربي، أمكن ملاحظة أنه لم يتبلور في مرحلة واحدة، بل مرّ بسلسلة من الأطوار المتعاقبة التي تتداخل فيما بينها، نتيجة التفاعل المستمر بين المدارس النحوية المختلفة، وتنوع الاجتهادات في تفسير الظواهر اللغوية وتقعيدها. وقد انعكس هذا التداخل على تطور الفكر النحوي، فانتقل من مرحلة جمع المادة اللغوية، إلى مرحلة بناء القواعد، ثم إلى مرحلة الشروح والتعقيبات والتعليلات التي عمّقت النظر النحوي ووسّعت آفاقه.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وإن اهتمام الباحثين المستشرقين بالنحو العربي، فقد جاء بدوره عبر مسار طويل، اتّسم بتعدد الرؤى وتنوع المناهج. فكل فريق منهم انطلق من خلفيته الفكرية ومن مدرسته العلمية الخاصة، فظهرت دراسات تتناول النحو بوصفه نظاماً لغوياً، وأخرى تربطه بالتراث العربي العام، وثالثة تقارنه باللغات السامية أو بالاتجاهات اللغوية الحديثة. وقد أسهم هذا التباين في تقديم قراءات مختلفة للتراث النحوي، بعضها اتسم بالإنصاف والدقة، وبعضها تأثر بالمواقف الثقافية والمعرفية للدارسين. والمحصلة أن النحو العربي، بجهود علمائه الأوائل ومقاربات الباحثين المحدثين والمستشرقين، يمثل بناءً علمياً تراكمياً تشكل عبر قرون، ولا يمكن فهمه دون النظر إلى سياق نشأته وتطور مناهجه واختلاف اتجاهات الدارسين له.

اهتمام المستشرقين بالنحو العربي

يبرز اهتمام المستشرقين باللغة العربية في المؤسسات الأكاديمية الغربية من خلال المؤلفات المتخصصة التي أُنشئت لخدمة الدراسات اللسانية العربية، ومنها دائرة المعارف الخاصة باللسانيات العربية التي يتولى تحريرها المستشرق الهولندي فريستج، وتمثل أحد أهم المشاريع العلمية التي تُعنى برصد التراث اللغوي العربي وتحليله.

ويرى يوهان فك أن العوامل التاريخية الكبرى، مثل اتساع الفتوحات الإسلامية، والاحتكاك العسكري والسياسي بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، ومع القوى الأوروبية لاحقاً، إضافة إلى الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء المسلمون في حفظ معارف الأمم السابقة كاليونان وغيرهم، وكانت هذه الفتوحات دافعاً أساسياً لاهتمام الأوروبيين بالترجمة من العربية إلى اللاتينية ويشير فك كذلك إلى أن أقدم ترجمة لاتينية معروفة للقرآن الكريم تعود إلى عام 1143م، وقد انصبت على نقل المحتوى العام للنص القرآني، دون مراعاة لأسلوب العربية ونسقها البلاغي الدقيق. (فك، 2000: 17).

وإن أول من طرح قضية التأثر في نشأة النحو العربي المستشرق الألماني "ميركس" في كتابه" تاريخ صناعة النحو عند السريان"(عمايرة،1992:38)، وتبعه في ذلك المستشرق*fteich* في كتاب ألفه في علم اللغة فزعموا أن النحو العربي متأثرًا بنحو السريان، وذلك بحسب طبيعة العراق في عصر أبي الأسود الدؤلي كانت سريانية.(ماضي:3)

- أسباب التشكيك:

يرى عدد من المستشرقين أن من أبرز الأسباب التي دفعتهم للتشكيك في أصالة النحو العربي هو ما يظهر عليه نظامه من اكتمال ونضج مبكرين، و يتجلى ذلك في كتاب سيبويه الذي يُمثل ذروة

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التفكير النحوي العربي. ويستند هؤلاء الباحثون إلى أن هذا المستوى المتقدم لا ينسجم مع المسار الطبيعي لنشوء العلوم، الذي يفترض مرور أي علم بمراحل التكوين الأولى ثم النمو التدريجي وصولاً إلى النضج. وذهب المستشرقون إلى أن المدوّنة النحوية العربية لا تتيح تتبع حلقات واضحة لبدايات هذا العلم أو تطوره المرحلي. غير أن هذا الطرح يغفل الدور المحوري الذي قام به أبو الأسود الدؤلي، وما امتاز به من ذكاء وبصيرة بالحاجة الملحّة لتنظيم الكلام العربي، ولا سيما خدمةً للغرض الأسمى وهو حماية القرآن الكريم من الخطأ واللحن، مما يؤكد أن للنحو جذوراً أولية سبقت مرحلة تقعيده الكامل.(حمداد،194:2019)

ويرى بعض المستشرقين أن غالبية النحاة الأوائل كانوا من الموالي غير العرب، أمثال سيبويه ويونس بن حبيب والكسائي وخالويه، باستثناء أبي عمرو بن العلاء، وهو ما اعتبره هؤلاء الباحثون مؤشراً على ضعف الجذور العربية الخالصة للنحو (رشاد، 2022: 3242-3245).وذهب بعض المستشرقين إلى القول بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي يمثل المؤسس الحقيقي للنحو العربي، إذ يرون أن جهوده في تقعيد القواعد جاءت متأثرة بالتيارات العقلية والمنطقية والفكر الكلامي آنذاك، ومن أبرزهم المستشرق بروكلمان الذي رأى أن الدراسات النحوية للخليل طُبعت بطابع عقلاني منطقي (رشاد، 2022: 3245-3250).

ويرى بعض المستشرقين أن كتاب سيبويه ظهر بصورة متكاملة ومنظَّمة في وقت مبكر من تاريخ النحو، مما دفعهم إلى التشكيك في أن يكون النحو قد نما تدريجيًا عبر مراحل متتابعة، بل اعتبروا ظهوره بهذا الشكل دليلًا على تأثيرات ثقافية خارجية على نشأة هذا العلم. غير أن الدراسات النقدية المعاصرة تؤكد أن علم النحو العربي نشأ وتطور وفق أطوار زمنية متتابعة قبل سيبويه، وأن اكتماله في هذا الكتاب يعكس تراكم جهود سابقة للنحاة في ضبط قواعد اللغة العربية، وهو ما يفند فكرة الظهور المفاجئ أو الاعتماد الكلي على مصادر أجنبية (رشاد، 2022: 3295).

وذهب بعض المستشرقين إلى القول إن النحو العربي تأثر بالمنطق الأرسطي وبالموروث الفلسفي اليوناني، مستدلين على ذلك من خلال بعض المفاهيم النحوية مثل نظرية العامل والمعمول، التي يرونها انعكاساً للتفكير المنطقي المجرد (رشاد، 2022: 3250-3255).وعد بعضهم أن النحو العربي قائم على تعقيدات متعددة تجعل فهمه صعباً على المتلقي، ما دعا بعض المستشرقين إلى اقتراح بدائل لتبسيطه. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قدمه المستشرق الألماني برجشتراسر، إذ رأى أن النحو العربي مبني على التفكير العقلي التجريدي الذي يغفل السياق في تحديد وظائف الأدوات النحوية. واستشهد

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

برجشتراسر بأدوات الشرط، موضحاً أن (أنْ) غالباً ما تشير إلى المستقبل وأحياناً إلى الحاضر، بينما تدل (لو) على الماضي في الغالب، وقد تأتي أحياناً لتدل على الحاضر أو المستقبل بحسب السياق (رشاد، 2022: 3280-3285،برجشتراسر،2003 :199-200).

يرى برجشتراسر أن الحال غالبًا ما يأتي مفردًا بسيطًا، وينطبق هذا على خبر الفعل الناقص "كان"، إذ يكون هذا الخبر في الأصل حالًا، كما في المثال: «كان تاجرًا»، أي أن المعنى المقصود هو «عاش وهو تاجر». وتُعد جملة «كان» في ظاهرها جملة خبرية، لكنها تُفسّر بوصفها جملة عوضية، حيث يُعد الفعل «كان» هو الفاعل، وما بعده الخبر. ومن هذا المنطلق، فإن الجملة الخبرية، من حيث مضمونها، تُعد في الواقع جملة حالية تصف هيئة الفاعل أثناء وقوع الحدث (برجشتراسر، 2003: 195-196).

اقترح بعض المستشرقين لإزالة هذا التعقيد ما يأتي:

نزع الجمود والتعقيد من نظرية النحو العربي وذلك بإلغاء نظرية العامل والمعمول والتخلي عن التأويلات النحوية والاجتهادات النحوية.

يرتبط النحو العربي ارتباطًا وثيقًا بعلم المعاني والدلالة، إذ يُعد علم المعاني الحاضنة الأساسية لفهم القواعد النحوية وتفسير دلالاتها (السامرائي، 2007، ص. 12-15). كما تُدرس القواعد النحوية وفق الأبواب العامة، مع التركيز على معاني الجمل بدلاً من التفرعات التفصيلية، بحيث يُعطى كل باب أهميته بحسب محتواه المعنوي، مثل جمع النفي ومشتقاته ضمن باب النفي، وكذلك الاستفهام والشرط والتأكيد والنفي، مع تجنب تشطير الأبواب إلى فروع متفرقة (أنيس، 1966، ص. 137-138).

أن هذا الرأي تبناها بعض الباحثين العرب منهم: أمين الخولي في كتابه(مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) ، وكذلك أنيس فريحة إذ يقول: إن" أثر المنطق الاغريقي وفلسفة العليّة الارسطو طاليسية التي تعنى بالسبب والحكمة معا في أبواب الصرف والنحو"(ماضي:4)

ويذكر ابراهيم مدكور : إن الخليل اتصل برجال الثقافة من السريان، وسألهم فترجموا له مصطلحات علم النحو(رشاد،2022:3266) ، يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن النحاة ابتكروا بعض مظاهر الإعراب، مستندين في ذلك إلى محاولتهم الوصول إلى قواعد لغوية متماسكة، مع تأثرهم بلغات محيطة كاللغة اليونانية. ويُلاحظ فرق جوهري بين رموز الأسماء في اللاتينية وحركات الإعراب العربية، إذ إن الرموز اللاتينية لا تُسقط عند الوقف، على عكس الحركات الإعرابية في العربية. لذلك، يبدو أن هذه الحركات ليست مجرد علامات لغوية دالة على الفاعلية أو المفعولية كما يعتقد بعض النحاة، بل لها أسباب

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ودوافع أخرى(أنيس، 2007: 207). ويتفق كذلك مع هذا الرأي كل من طه حسين ، وأحمد أمين، وإبراهيم مدكور، وإبراهيم سلامة، ومصطفى نظيف، ويستدل الاخير على رأيه : يُذكر أن يعقوب الرهاوي(ت109هـ) عاصر أبا الأسود الدؤلي، وكان من بين الذين تلقوا التعليم على يد (ساويرس سيبوخت). امتاز في مجالات الفلسفة واللاهوت والنحو والتاريخ، وألف كتابًا في النحو السرياني اشتمل على الحركات والنقط، مستفيدًا من محاولات أبي الأسود. ويُلاحظ أن استخدام الحركات والنقط في العربية بدأ في البصرة، حيث التقى العرب بالسريان والفرس والهنود، وكانت السريانية هي لغة العلم آنذاك (السلطاني، 2019: 241).

وهذه الاطروحة مبنية على الاستقراء الناقص عند الباحثين العرب ، فمن يقول متوهما أن الخليل قد صحب حنينا وتأثر فيه من العرب أنيس فريحة واحمد أمين، وإبراهيم مدكور ، وفؤاد حنا ترزي، فمن يتفحص التراث النحوي العربي جيدًا، يجد أن الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يعاصر حنينًا إذ أن وفاة الخليل 180هـ وولادة حنين لم تكن قبل سنة 194هـ فلم يدركه . فهذا لا يتعدى تقليدهم لآراء المستشرقين ومدى تأثرهم بأقوال "دي بور" في كتابه " تاريخ الفلسفة في الإسلام"(السامرائي:19) وممن ردّ هذا التوهم المستشرق الهولندي فيرستغ ، و الدكتور مهدي المخزومي وعلي أبو المكارم، فردّ أبو المكارم إلى صاعد الاندلسي(420–462) في كتابه طبقات الأمم وقال: إنه " أقدم من ذكر شيئًا عن هذا الاتصال" ، وقد أورد صاعدًا أن حنينًا: " تعلم العربية في البصرة من الخليل بن أحمد " وقال بعدئذ " وبين وفاة الخليل ووفاة حنين المذكور تسعون سنة"(عمايرة:58)، أما ما قاله الدكتور مهددي المخزومي الذي ردّ هذا الخطأ إلى مصدر أقدم، فقد عاد به إلى ما قاله سليمان الاندلسي (ابن جلجل ت384هـ) في كتابه طبقات الأطباء والحكماء من أن حنين بن أسحق قد لزم الخليل بن أحمد حتى برع في لسان العرب.

و أيضا للرد على هذه الاتهامات نذكر ما تناقلته الكتب النحوي والدراسات السابقة على النحو الآتي:

إن النحو العربي نشأ على يد أبي الأسود الدؤلي ، ونعني بالنحو الأسس الأولى لبذوره، وليست هذه المصطلحات التي سجلتها الروايات الكثيرة ؛ وإنما عمل أبي الأسود ينحصر في تنقيط المصحف تنقيط إعراب وبهذا التنقيط وضع الأساس الأول للتطور النحوي ، فنحو أبي الأسود هو في الواقع تثبيت للنطق العربي من قراءة القرآن، وإن في أبي الأسود من الصفات ما يجعله أهلًا لهذا، فهو علم واسع

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بعلم العربية وأساليبها وما أوتي من حس مرهف في تتبع مواقع الخطأ حينما تنحرف الألسنة عن الصواب وروي عنه أنه قال: إني لأجد اللحن غمرًا كغمر اللحم.(مكرم:56).

ويرى اللغوي الحديث أن الظواهر النحوية ليست مجرد تقليد أعمى، بل هي انعكاس لعادات كلامية ملتزم بها أبناء اللغة الواحدة، تنتقل جيلاً بعد جيل مع تغييرات طفيفة فقط بما يسمح به التطور الطبيعي للغة. وتلك العادات تختلف من لغة إلى أخرى، مما يجعل لكل لغة خصائصها المميزة التي تميزها عن غيرها، وهو ما يوضح أن اللغة العربية تتمتع بكيانها الخاص وخصائصها الأصيلة التي لا تشترك فيها لغات أخرى (أنيس، 1966، ص. 137-138). يطرح المستشرق رينان مسألة أصالة النحو العربي مناقشًا ما إذا كانت نشأته قد تأثرت بأنظمة لغوية أجنبية، كالنحو السرياني أو اليوناني. إلا أنّه يرفض هذه الفرضية نفياً قاطعًا، مؤكّدًا أنه لو كان للسريان دور في تأسيس البنية النحوية العربية لاحتفظ التاريخ العربي بذكرٍ واضح لذلك. ويرى رينان أنّ نشأة النحو العربي كانت ثمرة الحاجة إلى صون لغة القرآن الكريم، إذ اتجه النحاة الأوائل إلى وضع قواعده خدمةً للنص القرآني الذي شكّل محور جهودهم التقعيدية الأولى (حمداد، 2019، 190).

ثم أن البحث التاريخي لمعظم اللغات التي اتصل العرب بها لا يساعد على إثبات هذه الظنون؛ بل إنه يدل في بعض النواحي على العكس، وهو أن معظم هذه اللغات قد استرشد نحاتها بالقواعد النحوية للغة العربية وقد أورد اقليمس يوسف داود مطران عن السريان ما يأتي: في القرون الخمسة الأولى من العصر السعيد للغة السريانية لم يكن على ما نعهد عند السريان كتب نحوية أو لغوية تضبط قواعد الكلام، فكان الطلاب ينقلون اللغة ويحكمونها بالنقل والتقليد، والمطالعة الكثيرة، ولم يظهر كتاب ضبط قواعد اللغة السريانية على ما اتصل بنا إلا بعد زمان المسيح بقرون وذلك عند الشرقيين أولًا.(مطران الموصلي:22-25:1978) ، فهذه النصوص تدل على أن النحو السرياني لم ينشأ إلا حديثا وكما أن من يطلع على كتاب اللمعة الشهية يرى كيف من ألفه قد اقتدى في لغته النحوية باللغة العربية وبالنحاة العرب في تقسيماتهم للأبواب، وكذلك في بعض القواعد كالمبتدأ والتوكيد والخبر والبدل.

وممن تبنى هذه النظرة الخاطئة من الباحثين العرب ، عبد الرحمن أيوب في كتابه " دراسات نقدية في النحو العربي" ينقد النحاة على أساس خاطئ ومن جملة ما نقدهم فيه تعريفهم للحرف: بأنه ما يدل على معنى في غيره فيقول: والنحاة قد أخطأوا والصواب أن كلمة " إلى" قد دلت على معنى في نفسها وهي العلاقة التي تضعها الكلمة التي تشير للحديث، والكلمة التي تشير للذات... ولو كانت العلاقة موجودة في هاتين الكلمتين لأدت إلى المعنى دون حاجة إلى وجود الكلمة، فكان من الممكن أن نقول

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

في مثل هذا : ذهب الولد إلى علي، ذهب الولد علي" فيعزو ذلك كله إلى تأثرهم بالفلسفة الاغريقية عن الموجودات التي كانوا متأثرين بها أكثر مما كانوا يدرسون خصاص الألفاظ العربية ذاتها(أيوب، 1957: 1\9)

أما قول المستشرقين في تأثر النحاة في تقسيمهم للكلام إلى (اسم، فعل ، حرف) بتقسيم أرسطو للألفاظ إلى (كلمة ، اسم ، اداة) ، فيمكن الرد على هذا القول بقول المبرد(285هـ) : "فالكلام كله اسمُ، وفعل، وحرف جاء لمعنى لا يخلو الكلام من هذه الثلاثة"(المبرد:1\3) ، ففي هذا الكلام دليل واضح على وجود هذا التقسيم في أغلب اللغات، فتشابه التقسيم بين منطق ارسطو والنحو العربي ليس دليلًا على التأثر مطلقًا، كذلك أن تقسيم أرسطو للألفاظ ليس تقسيما ثلاثيًا ، فقد قسم الكلام إلى ثمانية أقسام

وكذلك عدم رجوع الباحثين العرب الذين تبنوا آراء المستشرقين إلى آراء أرسطو نفسه ؛ لأنهم سوف يجدون أن دراسة أرسطو لبعض ظواهر اللغة لم تكن ذات علاقة بالبحوث اللغوية الخالصة بل هي جزء من الفلسفة والمنطق، فكل قضية عنده تتكون من رباط واسم وفعل، فدراسة اللغة عنده لغاية فلسفية لا لغوية، وهي دراسة تختلف عن دراسة اللغة ممن خلال ملاحظة ظواهر العبارة الشكلية والمعنوية.

ومما يدل أيضا على عدم تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني ولا بالنحو السرياني ، هو أن النحو العربي نُقل بالسماع عن الأعراب في البوادي ، أي أنه معتمد بالدرجة الأولى على السماع والنقل عن العرب ممن يوثق بعربيتهم.

فأن الحضارة التي وصلت إليها الأمة الإسلامية تقتضي تأليف المتون في نشأة النحو العربي فأن عمل النحاة في تقعيد النحو العربي يظل أسمى من أن يُتهم بهذه الاتهامات، فالنحاة جمعوا شواهدهم من البادية ، موطن الفصاحة.

وممن يقف على النقيض من القائلين بالتأثر المستشرق الفرنسي جيرار تروبو بقوله: " أن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول"(عمايرة،39–40) ، وكذلك ممن يرى أن نشأة النحو عربية خالصة هو المستشرق لاند بيرغ وقد ردّ عليه المستشرق نولدكه بقوله: " إن الأمر لدى لا ند بيرغ يبدو كما لو كان النحو العربي قد نما في الصحراء من تلقاء نفسه". ثم أردف قائلًا : " إنه لا ينبغي أن ينكر لا ند بيرغ بعد الآن وجود مؤثرات يونانية، وعلى وجه التحديد أرسطو طاليسية على النحو العربي" (عمايرة،39).

وقد ردّ المستشرق فايس على المستشرق فرانس بريتوريوس الذي قال بالتأثر الأجنبية ، نفى التأثر في مقالة أثبت فيها أصالة العلوم اللغوية عند العرب.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومن اعتمد على هذا الرأي أيضا المستشرق الألماني فيشر والمستشرقين اليهوديين: طلمون وريفيل، ومبدأ هؤلاء نشأ النحو في بداياته متأثرًا بمؤثرات أجنبية؛ لكن النحو الذي وصل إلينا متمثلا في كتاب سيبويه فهو عربي.(كيشانه،2021:51-52).

إذ يقول المستشرق اليهودي طلمون :" ويقدر ريفيل أن التنقيط بالإعجام أدخل على أيدي من استعمل الكتابة بالعربية في العراق وسوريا من يهود وسريان"(كيشانه:97)، ويقول أيضًا : " بيد أن الوجهة القائلة بوجود التأثير الأجنبي كانت عرضة للنقد البناء الدائم من قبل الذين يرفضونه. فمن خلال النقاش بين هذين المذهبين اتضحت في أوساط الباحثين في تاريخ النحو العربي حقيقة الفرق بين المنهج النحوي ونظرة الفلسفة الأرسطوطاليسية في قضية اللغة" (كيشانه،2021:52)،إذ يحاول طلمون تقديم اليهود على السريان ونفي تأثر النحو العربي بالسريان وفي المقابل هو يحاول إثبات التأثر الاجنبي (اليهودي) في النحو العربي.

نتائج البحث

من خلال ما درسناه في هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

1. كشف البحث أنّ معظم ما طرحه المستشرقون في دراستهم للنحو العربي كان قائمًا على إسقاط معارفهم الخلفية وإيديولوجيات المدارس اللسانية التي تخرّجوا فيها، مما جعل أحكامهم لا تنطلق من بيئة النحو العربي ذاتها، بل من معايير خارجية لا تلائم خصوصيته.

2. انطلقت بعض انتقادات المستشرقين للنحاة العرب من سوء فهم لطبيعة اهتمام المدرسة النحوية العربية، إذ اتهموهم بإهمال بعض الجوانب اللغوية اعتمادًا على مركزية "المعنى" في مناهجهم الغربية، في حين كان تركيز النحاة العرب منصبًّا على "البنية والتركيب"، وهو اختلافٌ في المنطلقات يؤدي بالضرورة إلى اختلافٍ في النتائج.

3. تبيّن أن جزءًا كبيرًا من آراء المستشرقين بُني على استقراء ناقص، وقراءة مبتسرة للتراث النحوي، مما أدى إلى استنتاجات غير دقيقة أو مجتزأة عن طبيعة نشأة النحو وتطوّره.

4. أظهر البحث أنّ بعض الباحثين العرب ممّن تأثروا بالمستشرقين . مثل إبراهيم أنيس وأنيس فريحة وغيرهما ممن ورد ذكرهم سابقًا . قد تبنّوا تلك الآراء دون تمحيص كافٍ للتراث العربي، الأمر الذي جعلهم يكررون الأخطاء ذاتها، ويغفلون عن منهج النحاة العرب وسياقهم العلمي.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

5. برزت مواقف لبعض المستشرقين المنصفين، مثل جيرار تروبو، الذين انطلقوا من رؤيةٍ موضوعية خالصة، فتمكنوا من فهم طبيعة اللغة العربية وإدراك خصوصية نشأة النحو فيها، مما قادهم إلى الإقرار بأصالته وعدم تبعيته لغيره من النظم النحوية.

6. أظهر البحث أن الدافع الديني . المتمثّل في خدمة القرآن الكريم وصيانة لغته . كان العامل المركزي في ظهور النحو العربي، وهو ما تجاهله أو لم يستوعبه بعض المستشرقين الذين درسوا نشأة النحو بمناهج غير منسجمة مع البيئة الثقافية العربية.

7. أكّد التحليل أنّ النحو العربي لم يكن مجرد نقلة أو محاكاة لمنظومات لغوية أجنبية، بل مشروع علمي أصيل نابع من حاجات عربية خالصة، وهو ما تعززه شواهد التراث النحوي المبكر وأقوال كبار اللغويين والمحققين..

وقد شكّلت مسألة الهوية، بما تحمله من أبعاد دينية، ثقافية، ولغوية، محورًا جوهريًا في الكتابة المهجرية، إذ عبّر الكتّاب المهجريون عن تمزقهم بين جذورهم الشرقية وتطلعاتهم نحو الحضارة الغربية، في محاولة للتوفيق بين الماضي والراهن، وبين "الأنا" الأصيلة و"الآخر" المختلف (ميخائيل نعيمة، 1923، ص25)

في المقابل، كان الانتماء – بوصفه تعبيرًا عن الارتباط بالمكان والوجدان الجمعي – موضع صراع داخلي في نفوس المهجريين، انعكس في كتاباتهم الأدبية، وتجلّى لاحقًا في الخطاب النقدي العربي الذي حاول مقاربة هذه الإشكالية(عز الدين إسماعيل، 1992، ص213)

إن دراسة ثنائية الهوية والانتماء في نقد الأدب المهجري تكتسب أهميتها من كونها تسلّط الضوء على بُعد غير مطروق بعمق في النقد التقليدي، كما تفتح أفقًا لفهم كيفية تلقي النقاد العرب لهذا الأدب، وتأويلهم لعلاقته بالواقع الثقافي والإنساني(عز الدين إسماعيل، 1992، ص213).

المصادر:

[1] أيوب، عبد الرحمن. (1957). دراسات نقدية في النحو العربي. مكتبة الأنجلو المصرية.

[2] أنيس، إبراهيم. (2007). من أسرار العربية.

[3] برجشتراسر، كارل. (2003). التطور النحوي. ترجمة: رمضان عبد التواب، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[4] المبرد. (دون تاريخ). المقتضب. تحقيق عبد الخالق عضيمة، دار التحرير، منشورات المجلس

الأعلى للشؤون.

[5] حمداد، —. (2019). "موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي ونقدها". مجلة دراسات استشراقية, العدد 17.

[6] السامرائي، فاضل. (2007). معاني النحو. الجزء الأول، دار إحياء التراث، بيروت.

[7] رشاد، رجب. (2022). آراء العلماء العرب المحدثين في نشأة النحو العربي: دراسة نقدية. المجلد 26، الجزء 4.

[8] السلطاني، فارس السيد حسن. (2018). جهود المستشرقين اللغوية في اللغة العربية. الرضوان للنشر والتوزيع.

[9] كيشانه، محمود. (2021). لغة القرآن من منظور الاستشراق. الطبعة الأولى، النجف، العراق.

[10] عمايرة، إسماعيل أحمد. (1992). المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية. الطبعة الثانية، دار حنين، عمّان.

[11] فك، يوهان (*Fück). (2000*). تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين. ترجمة: د. عمر لطفي العلم، دار قتيبة، دمشق.

[12] مطران الموصلي، أقليميس يوسف داود. (1879). اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية. دير الآباء الدومينيكان، الموصل.

[13] مكرم، عبد العال سالم. (1978). القرآن وأثره في الدراسات النحوية، المساهم، الكويت.

[14] مجلة الأديب (1958) جزء الثامن.

[15] المجمع العلمي بدمشق (1958) مجلد السابع.

[16] كاتب غير محدد. (1983) 'مذهب المؤرخين العرب في وصف نشأة علم النحو العربي', مجلة الكرمل, العدد الرابع.

[17] حمداد، ب. أ. (2019) 'موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي ونقدها', مجلة دراسات استشراقية, العدد 17.

[18] ماضي، س. (بدون تاريخ) النحو العربي والرأي الآخر.